بحوث قسم التاريخ والحضارة

مملكة أدوم وموطن الأنباط

الباحث/ أسامة محمود عبد المولى

مدير مركز تدريب مصر الوسطى بوزارة السياحة والآثار

الملخص:-

تعتبر المصادر المصرية القديمة والمصادر الآشورية والعهد القديم من أهم المصادر التى وردت بها إشارات إلى أدوم . منحت الطبيعة مملكة أدوم موقعاً استراتيجياً هاماً ، وفر لها الحماية الكافية من الأطماع الخارجية. يرجح أن تاريخ تهجيرهم من موطنهم قد تم فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهى الفترة التى انهارت واندثرت فيها حضارتهم. وقد نزح الأدوميين إلى شمال النقب وأسسوا مقاطعة "إيدوميا" فى جنوب فلسطين وبسطت القبائل العربية (القيدايون ومن بعدهم الأنباط) سيطرتها بالكامل على المنطقة وتوسعوا فيما بعد .إن الأدوميين هم أجداد الأنباط خاصة أنه لا يوجد دليل يفصل الأدوميين عن الأنباط ، لا سيما وأن منطقة واحدة قد جمعتهم ، وأصلهم العربى واحد.

Abstract

Ancient Records of Egyptian and Assyria, also the Old Testament are considered the most important sources that have references to Edom. The Nature of Edom Kingdom position has given it Protection from external tripping. The displacement from their homeland took place in the six century in which their civilization were end. Edomites

displaced to the north of Negev and established the Province of "Idomea" in south Palestine. Qaidities and after them Nabataeans controlled over the region and expanded later. Edomites are the ancestors of Nabataeans, there are no boundaries separating them. They were together by one area. Their Arab Origin is one.

مقدمة:-

يعتقد بعض الباحثين أن الأدوميين لم يسكنوا "بترا" الحقيقية ، ولكنهم انتشروا فى المرتفعات المحيطة بها ، ومناطق سكناهم أطلقت عليها تسمية "إدوم" وهى لفظة لها مدلول الإحمرار وربما كان ذلك بسبب لون الصخور التى استخرجوا منها خامات النحاس . وقد تعددت الأراء حول أقدم الأقوام التى سكنت مدينة البتراء عاصمة الأنباط ، حيث تعد مملكة الأنباط من أهم الممالك التى سكنت منطقة جنوب شرق نهر الأردن ، واتخذت من مدينة "البتراء" عاصمة لها وازدهرت خلال المرحلة الهللينستية المتأخرة والرومانية المبكرة ، واستطاعت المملكة توسيع نطاق انتشارها فى أجزاء من جنوب سوريا ومدينة دمشق ومنطقة شرق نهر الأردن ، ومنطقة النقب فى فلسطين .

أولاً: مملكة أدوم قبل ظهور الأنباط :

ظهرت حضارة جديدة في بداية القرن الثالث عشر ق.م في جنوب شرق الأردن تعود إلى الأدوميين[١] ، والموآبيين[٢] ، والعمونيين[٣] ، والأموريين[٤] الذين كانوا ينتمون إلى جماعات سامية استوطنت جنوب شرق الأردن حوالى القرن الرابع عشر أو أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وربما استوعبت تدريجياً سكان المنطقة الأصليين من البدو[٥].

شهدت أرض الأردن خلال فترة العصر الحديدى الأول والثانى (١٢٠٠ ـ ٥٣٩ ق.م) ثلاثة كيانات سياسية رئيسة ، هى مملكة عمون شمالى وادى الموجب ، ومملكة مؤاب بين واديي الحسا والموجب ، أما مملكة أدوم فقد قامت بين العقبة جنوباً ووادى الحسا شمالاً وكان حدها الغربى وادى عربة ، وكان يحدها من الشرق المنطقة الصحراوية الواقعة إلى الشرق من جبال الشراة ، وكانت عاصمتها "بصيرا" فى الطفيلة حالياً ، وشكلت تلك الممالك الثلاثة قوى سياسية مركزية شجعت على الإستقرار والتجارة بين مناطقها المختلفة ، وتعتبر منطقة أدوم هى المنطقة التى آوت الأنباط فى بدايات تواجدهم فى الأردن والتى منها انطلقوا فى توسيع رقعة سيطرتهم السياسية والإقتصادية[٦].

تميزت تلك الممالك عن غيرها بحدود طبيعية تقطعها من الجنوب إلى الشمال ، وهى وادى الحسا ، ووادى الموجب ، ووادى زرقا ، ووادى اليرموك ، وازدهرت فى الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، وبعدها مرت بفترة تدهور بلغت ذروتها فى القرن السادس قبل الميلاد[٧].

ازدهرت مملكة أدوم وانتشرت بها المدن والبلدات والقرى المتحضرة ، منها "بصيرا" فى الشمال ، و"طويلان" فى الجنوب بالقرب من البتراء ، واعتمد إقتصاد الأدوميون على الزراعة والتجارة ، و إلى حد ما الصناعة ، وتشير الأدلة الأثرية إلى تحضرهم وبراعتهم فى الفنون المختلفة ، حيث عثر فى "بصيرا" على تمثال فخارى يعود إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد ، وهو لإلهة الخصوبة ترتدى مصباح كالتاج ، وتحمل فى يديها على ما يبدو الرغيف المقدس من الخبز أو ربما يمثل دُف[٨] .

تعتبر فترة العصر الحديدى الثالث (الفترة الفارسية) الممتدة بين ٥٣٩ – ٣٣٢ ق.م من الفترات المظلمة فى تاريخ أدوم ، إذ يكتنفها الكثير من الغموض التاريخى والأثرى الحضارى ، ومن خلال الدراسات فى الأردن والنقب أنه لم يكن هناك استيطان بشرى خلال العصر الفارسى ، وأن المنطقة لم تكن تابعة إدارياً للدولة الفارسية ، فمن الواضح أن الفرس قد اتبعوا التقسيمات الإدارية نفسها التى استخدمها الأشوريون ومن ثم البابليون ، حيث كانت منطقة سوريا وفلسطين باستثناء منطقة القبائل العربية تقع ضمن الولاية الخامسة التى تسمى "عبر النهر" وهو المسمى نفسه الذى أطلقه الأشوريون وإستخدمه الكلدانيون فيما بعد[٩] .

منحت الطبيعة مملكة أدوم موقعاً استراتيجياً هاماً ، وفر لها الحماية الكافية من الأطماع الخارجية ، ولم يكتفِ الأدوميون سلسلة من الحصون والأبراج الدفاعية المنتشرة على حدود مملكتهم ، حيث تم تسجيل العديد من هذه المواقع فى جنوبى الأردن من خلال المسوحات الأثرية التى أجريت فى المنطقة[١٠].

مملكة أدوم فى المصادر المصرية القديمة :

تعتبر المصادر المصرية القديمة والمصادر الآشورية والعهد القديم من أهم المصادر التى وردت بها إشارات إلى منطقة جنوبى الأردن خلال الألفين الثانية والأولى قبل الميلاد ؛ حيث يشير نص مصرى من حوالى القرن الثامن عشر قبل الميلاد إلى منطقة "دوماتو" وأميرها "إقح" ، وقد تباينت وجهات النظر الحديثة فيما إذا أمكن تقريب اسم "دوماتو" هذا إلى تسمية منطقة أدوم فى جنوب شرق الأردن ، أو تقريبه فيما هو أكثر إحتمالاً إلى اسم "دومة الجندل" العربية ذات الموقع التجارى المتميز ، لا سيما وقد ذكرتها المصادر الآشورية القديمة باسم مشابه له وهو "أدوماتو"[١١].

تشير عدد من الوثائق المصرية إلى منطقة أدوم خلال العصر الحديدى ، وتذكر هذه النصوص قبائل رُحل متنقلة كانت تعيش فى هذه المنطقة ، وتشير هذه الشواهد إلى أن التفاعل المصرى مع جنوبى الأردن خلال العصر البرونزى المتأخر كان مكثفاً ، خاصة خلال فترة حكم رمسيس الثانى ، الذى قاد حملات على سوريا وفلسطين ، وقد ورد فى النصوص التى تعود لعهده وتخلد انتصاراته أسماء بعض المواقع المحلية مثل مؤاب وذبيان ، ولكنه لم يذكر لنا أسماء بأدوم

باستثناء جبل سعير ، وربما ترجع أسباب أطماع رمسيس الثانى وغيره من الملوك المصريين بالمنطقة إلى وجود مناجم الخامات المعدنية الطبيعية فى وادى عربة بدءاً من عهد سيتى الأول وحتى نهاية عصر مسيس الثالث(١٢).

وردت فى النصوص المصرية اشارة إلى بدو "الشاسو" أو "الشوسو" وهم مجموعات من البدو الذين عرفوا بأنهم مصدر دائم لإزعاج الملوك المصريين من الناحية الشرقية للبلاد خلال العصر البرونزى المتأخر أى عبر الفترة الممتدة من الأسرة الثامنة عشر وحتى الأسرة العشرين ، وقد ذكرت تلك النصوص معبود قبائل الشاسو "قوس " ، ومن المعروف أن قوس المعبود الرئيس لأدوم ، فيبدو أن تلك القبائل كانت مرتبطة بأدوم(١٣).

ذُكرت أدوم صريحة لأول مرة فى النصوص المصرية التى ترجع لعصر مرنبتاح (١٢٣٥ – ١٢٢٧ ق.م) ورمسيس الثالث (١١٩٨ – ١١٦٧ ق.م) ، ففى رسالة بردية إدارية من عصر الملك مرنبتاح فى عام ١٢١٧ ق.م ، كتب أحد المشرفين على مداخل مصر الشمالية الشرقية معلناً " لقد أجرينا الإذن لقبائل الشوسو من أدوم بعبور حصن مرنبتاح فى ثكو إلى غدران بيتوم مرنبتاح الواقعة فى أرض ثكو ، بغية أن تُرد الحياة عليهم هم وقطعانهم، بفضل الفرعون الشمس الخيرة لكل أرض"(١٤).

ورد ذكر مملكة أدوم فى العهد القديم حيث نجد إشارة إلى أنها كانت قائمة فى حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وذكرت التوراة أن مصر آوت إليها الأمير "حداد الثالث" وريث عرش أدوم الذى ساعده أهل بلاطه على الفرار منها فى أواخر القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، بعد أن خرب جيش داود إمارته وسفك دماء الآلاف من رجالها واستباحها ستة أشهر، ووصل حداد إلى مصر خفية عن طريق أرض مدين ، فوجد فيها الملاذ الآمن(١٥).

مملكة أدوم فى المصادر الآشورية :

لم يقتصر ذكر منطقة جنوبى الأردن على النصوص المصرية القديمة ، بل ورد ذكرها أيضاً فى نصوص بلاد النهرين ؛ فقد تعددت محاولات الملوك الآشوريين من أجل السيطرة على سوريا

وفلسطين ، منها التى حدثت فى عهد الملك الأشورى شلمنصر الثالث (٨٥٨ – ٨٢٤ ق.م) الذى هاجم دمشق الآرامية فى السنة السادسة من حكمه عام ٨٥٣ ق.م ولكنها لم تكن صيدا سهلا ، على الرغم من طول منافستها مع جيرانها من البدو والعبرانيين ، فعزمت على الوقوف فى وجه جبروت الآشوريين ، ومن ثم فقد عملت على تكوين تحالف قوى كبير مكون من ١٢ ملكاً على رأسهم ملك دمشق "بنحدد الثانى" وقد انضم إلى هذا الحلف أمير ولاية "موصرى" فى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن أمير عربى آخر يدعى "جندب" أو "جنديبو" الذى شارك بألف جمل ، وحدثت الموقعة الفاصلة فى ذلك العام عند قرقر شمالى حماة ، وانتصر فيها شلمنصر على ذلك الحلف[١٦] ، ويتفاخر شلمنصر عن انتصاره فى هذه المعركة قائلا "قرقر ، مدينته الملكية ، خربتها ودمرتها ، وأحرقت بالنار ١٢٠٠ عجلة حربية، ١٢٠٠ فارس ، ٢٠٠٠٠ جندى من جنود حدد عزر ملك أرام "دمشق" ..... و١٠٠٠٠ جندى من جنود اهاب ..... و١٠٠٠ جمل لجنديبو العربى"[١٧].

استمرت المحاولات الآشورية فى عهد "تجلات بلاسر الثالث" (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) من أجل السيطرة على الطرق التجارية الواقعة فى جنوبى سوريا والتى تربط بلاد آشور بموانئ البحر المتوسط[١٨] ، وأهمها ميناء غزه ميناء الأنباط على البحر المتوسط ، وتشير النصوص إلى تلقيه الجزية من ملكات عربيات بتلك المنطقة ، ومنهم "زيبى" ملكة بلاد العرب مثلما عرفتها النصوص[١٩] ، كما أشارت أيضاً إلى تلقيه الجزية من ملكة أخرى تسمى "سمسى" حيث يذكر تجلات بلاسر فى قوله "أما سمسى ملكة بلاد العرب ..... فقد قتلت ١١٠٠ من رجالها واستوليت على ٣٠٠٠٠ ألف جمل ، و٢٠٠٠٠ رأس من الماشية ، و٥٠٠٠ آلاف إناء مملوءة بجميع أنواع التوابل ، و١١ جرة بها كل ممتلكاتها ..... وأما هى فقد نجت بحياتها وهربت إلى مدينة "بازو" وهى منطقة ليس بها ماء ..... ثم أرهبها قوة جيشى فجاءت لى بالجمال والنوق" ، كما ذكر فى أحد نصوصه أسماء حكام المنطقة ، ومنهم "قوس ملكو" ملك أدوم نسبة إلى معبود أدوم الرئيس المسمى "قوس" ، و"سانيبو" ملك عمون و"سلمانو" ملك مؤاب[٢٠].

تشير أحد نصوص الملك الأشورى أسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م) أنه أخضع أرض الأنباط [٢١] ، وفى نص آخر ذكر أنه تمكن من إخضاع كل العرب ، وتلقى الجزية من "حزائيل"

ملك أدوماتو (دومة الجندل) ، وكان من بين تلك الجزية ١٠٠٠ كيس من الأعشاب العطرية (البخور) [٢٢] ، وكانت الدوافع الاقتصادية من أهم الأسباب التى جعلت أسرحدون يفكر فى غزو سوريا وفلسطين والسيطرة على مملكة دومة الجندل وأرض الأنباط نظرا لأهمية تلك المنطقة التى كانت تلعب دوراً هاماً فى التجارة ، فقد أتاح ذلك الموقع للأنباط السيطرة على الجزء الشمالى من طريق البخور الذى كان يمر بعاصمتهم "البتراء" المركز الهام لتجارة البخور العربى الجنوبى [٢٣] .

ورد ذكر أدوم فى نصوص أشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م) التى تتحدث عن ثورة طهرقا ملك أثيوبيا عام ٦٦٧ ق.م ، وورد فيها ذكر "قوس جابر" ملك أدوم وملك مؤاب ، و اثنين وعشرين ملكاً قد دفعوا له الجزية وقبلوا قدمه ، ومنهم ملك أدوم ، وذكرت أدوم مرة أخرى فى نص لأشور بانيبال فى معرض حديثه عن حملاته على العرب ، والعرب القيداريين وياتع ملك العرب[٢٤] .

من الأدلة الأثرية الهامة التى تشير إلى الأدوميين هو طبعة ختم لقوس جابر ملك أدوم اكتشفته بينيت فى أم اليبارة داخل مدينة البتراء ، وهو الدليل الوحيد المكتشف فى أدوم والذى يشير إلى ملك ، وتجدر الإشارة إلى أنه تسمى بهذا الإسم نسبة إلى معبود أدوم الرئيس "قوس" ، الذى من المؤكد بأنه هو نفسه الذى ذكرته البرديات المصرية أثناء تناولها لقبائل الشاسو سالفة الذكر ، وقد ورد ذكر قوس جابر مرتين فى النصوص الأشورية التى ترجع إلى فترة حكم أسرحدون وأشور بانيبال ، مما يشير إلى أنه كان يحكم خلال تلك الفترة ، وقد عثر مع هذا الختم على فخار تم تأريخه إلى نفس الفترة[٢٥].

وتشير "بينيت" من خلال إجراء الحفائر فى أم البيارة وبصيرا وطويلان أن بداية الإستيطان الأدومى لم يكن قبل القرن الثالث عشر ، كما اعتقد جلوك بأنه كان فى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد ، كما اعتبرت فترة الاتصال الأدومى مع الأشوريين فترة إزدهار ومن خلال الحفائر التى أجرتها فى بصيرا وجدت دليلاً على الإستيطان الأدومى فى الموقع يعود أيضاً إلى القرن الثامن قبل الميلاد وكشفت عن موقع محصن به مناطق سكنية وعثرت خلال أعمالها الميدانية على أدلة تشير إلى تأثير أشورى على العطاء الحضارى الأدومى إذ لاحظت أن الفخار المكتشف فى حفائرها فى

بصيرا وطويلان وأم البيارة يوجد له ما يشابهه عند الأشوريين كما وجدت تأثيرات معمارية أشورية فى بصيرا [٢٦].

ثانياً: موطن الأنباط وتسميتهم :

١- مدلول لفظ الأنباط :

اعتاد بعض ملوك الأنباط تسمية أنفسهم بـ " ملك نبطو" واتضح ذلك من خلال النقوش النبطية، ويرجح أن أصل كلمة "نبطو" من الكلمة السامية "نبت" والتى تعنى استنباط المياه من الآبار ، وتشير المصادر الكلاسيكية أن الأنباط قد برعوا فى حفر آبار المياه وكان لديهم أنظمة للرى ، وهذا يفسر سبب تسميتهم بالإسم "نبطو" ، وتدريجياً اكتسب الأنباط هذه التسمية ، وتميزوا بها عن الأمم الأخرى التى عاصرتهم بتلك المنطقة[٢٧].

يذهب بعض الباحثين إلى أن الأنباط حينما انطلقوا من موطنهم الأصلى ووصلوا الموطن الجديد استنبطوا الماء أى (استخرجوه) وفلحوا الأرض فسموا "نبطاً" ، والأرجح أنه ليس باستطاعة باحث أن يجزم ويقول أن الأنباط سموا "نبطاً" لأنهم استنبطوا الماء وفلحوا الأرض وذلك لأن كثير من الأمم والممالك السابقة استنبطت الماء وفلحت الأرض ، فلماذا لم يطلق عليهم اسم الأنباط[٢٨] ، وبالمعجم السبئى وردت كلمة "نبط" من حيث دلالتها اللفظية تعنى أنبط (بئراً) أو حفر (بئراً) حتى الماء[٢٩].

وردت بالنصوص الآشورية كلمة "نباطو" فى اشارة إلى الأنباط ، من عهد الملك الآشورى تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) ، حيث يذكر هذا الملك أن منذ بداية توليه الحكم وحتى العام السابع قد أخضع العديد من القبائل فى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ومن بينها قبيلة تدعى "نباطو"[٣٠] ، كما وردت كلمة "نباطو" أيضاً فى نصوص الملك الآشورى سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) وذكر أيضاً أن "نباطو" إحدى القبائل أخضعها[٣١] .

ظهرت كلمة "نبایاتی" فى النصوص الآشورية التى ترجع إلى عصر الملك الآشورى آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م) فى إشارة إلى أنهم أعداء للآشوريين ، وقد فسرها "كامرر" بأنها تشير إلى الأنباط ، وربما ترتبط بكلمة "نبايوث" الواردة فى التوراة [٣٢] ، فقد ربط بعض الباحثين

اسم الأنباط بابن إسماعيل (عليه السلام) البكر المدعو "نبايوت" حسب ما ورد بالعهد القديم (التكوين ، ٢٥ : ١٣) ، ويرجح أن اسم الأنباط له علاقة باسم القبيلة الآرامية "نبأتنى التى عاشت فى القرن الثامن قبل الميلاد على ضفاف نهر الفرات وجنوب سوريا ، وجاء ذكرها فى مدونات الملوك الآشوريين الثلاثة تجلات بلاسر الثالث وسنحاريب وآشور بانيبال ، وقد يستبعد ذلك لأن مفاهيم الأنباط الفكرية والإجتماعية لاتتناسب مع تلك التى لدى هذه القبيلة الآرامية التى استقرت لمدة من الزمن على ضفاف نهر الفرات متشبعة بالمفاهيم الحضارية والإجتماعية لشعوب بلاد النهرين(٣٣).

ذكر "ستاركى" أن هناك اختلاف بين كلمة "نبايوت" الواردة فى العهد القديم وكلمة "نبأتنى" الواردة فى الحوليات الآشورية ، وقد اكتشف "ونيت" مؤخراً مخربشات على صخور جبل غنيم بالقرب من تيماء فى شمال المملكة العربية السعودية يرجح أنها تشير إلى عرب شمال شبه الجزيرة العربية وتعود إلى القرن السادس قبل الميلاد وقد ظهر بها كلمة "نبيت"(٣٤).

٢- موطن الأنباط :

تعددت الأراء حول أقدم الأقوام التى سكنت مدينة البتراء عاصمة الأنباط ، حيث يعتقد بعض الباحثين أن الأدوميين لم يسكنوا "بترا" الحقيقية ، بل انتشروا فى المرتفعات المحيطة بها ، ومناطق سكناهم أطلقت عليها تسمية "إدوم" وهى لفظة لها مدلول الإحمرار وربما كان ذلك بسبب لون الصخور التى استخرجوا منها خامات النحاس حيث أنهم عرفوا تصنيعه ، فيما يعتقد آخرون أن "الحوريون" الذين اتفق على تفسير اسمهم بـ "سكان الجبال" هم أقدم من سكن البتراء ولكن لم تتوافر أدلة على ذلك(٣٥) .

يعتبر تأريخ هجرة القبائل النبطية إلى جنوبى الأردن من المشكلات التى تواجه الباحثين فى تاريخ الأنباط ، حيث ما زال لا يوجد إجماع بين العلماء حول تأريخ دخولهم إلى المنطقة ، فهناك رأى يذكر أن من المستحيل تحديد تأريخ لدخول الأنباط إلى المنطقة ، أو حتى تحديد كم من الوقت قضوا فيها قبل ورود أول ذكر لهم فى النصوص الكلاسيكية ، أى قبل عام ٣١٢ ق.م ، ويؤيد هذا الرأى صعوبة إعطاء تاريخ لهجرة الأنباط إلى المنطقة عام ٣١٢ ق.م فى ضوء الأدلة

المتوافرة ، ويذكر رأى ثانى أن الأنباط قد هاجروا أصلاً من منطقة الخليج العربى وأن حركة الهجرة قد بدأت خلال الفترة الفارسية حتى انتهى بهم المطاف إلى منطقة البتراء وجنوبى الأردن ولكن من غير إعطاء تأريخ محدد لبدايات سيطرة الأنباط على جنوبى الأردن ، وهناك رأى ثالث يرى أن الأنباط قد هاجروا من منطقة شمال نجد خلال القرن السادس ق.م ، معتمد فى ذلك على اعتبار أن قبائل نبايوت المذكورة فى التوراة والنبأئيتى المذكورة فى النصوص الآشورية وأنباط الفترة الكلاسيكية فى جنوبى الأردن هى جميعها أسماء لقبيلة واحدة ، وهناك رأى أخير يذكر أن الأنباط هاجروا إلى المنطقة من جنوبى شبه الجزيرة العربية وبالتحديد من اليمن وكان ذلك بعد انهيار سد مأرب أى أنه يقترح تاريخ هجرة الأنباط بعد القرن الخامس قبل الميلاد(٣٦).

يبدو أن الأدوميين لم يتركوا موطنهم الأصلى فى جنوب شرق الأردن على إثر الحروب والعنف ، وإنما يرجح أنه تم ازاحتهم نتيجة لظروف ما ، فمن المعروف أن أدوم لم تكن مأهولة بالسكان خلال العصر الفارسى ، ولذلك يرجح أن تاريخ تهجيرهم من موطنهم قد تم فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهى الفترة التى انهارت واندثرت فيها حضارتهم ، وسيطرت القبائل العربية على منطقة أدوم القديمة جنوب البحر الميت وانتشروا باتجاه الشمال والغرب وتلك القبائل هم القيداريون ، ويعتبر الأنباط امتداداً لهم فقد حلوا محلهم بالمنطقة بامتداد واسع(٣٧).

أما الأدوميون فقد نزحوا إلى شمال النقب وأسسوا مقاطعة "إيدوميا" فى جنوب فلسطين وبسطت القبائل العربية (القيدايون ومن بعدهم الأنباط) سيطرتها بالكامل على المنطقة وتوسعوا فيما بعد(٣٨)، ويمكن القول لدى الباحث أن الأدوميين هم أجداد الأنباط خاصة أنه لا يوجد دليل يفصل الأدوميين عن الأنباط ، لا سيما وأن منطقة واحدة قد جمعتهم ، وأصلهم العربى واحد .

يعتقد أن الضعف الذى أصاب الإدوميين قبيل انهيار دولتهم ، كان عاملاً رئيساً فى دخول الأنباط إلى هذه الأرض منذ القرن السادس قبل الميلاد أو قبله مستغلين فترة عدم الاستقرار التى أصابت منطقة الشرق الأدنى على أثر سقوط الدولة الفارسية للهجرة إلى الأماكن التى ضعفت سياسياً ومنها جنوب الأردن وفلسطين ، هذا بالإضافة إلى أن الملك البابلى "نبوخذ نصر" قام بحملة على منطقة سوريا وفلسطين عام ٥٨٧ ق.م ، ومن ثم أخضع هذه الممالك

لمملكته ، وفى عام ٥٨٦ ق.م قام بسبى نبلاء يهود القدس إلى بابل تاركاً فيها فقراء ومساكين اليهود(٣٩).

يرى آخرون أن الملك البابلى نبونيد (٥٥٦ – ٥٣٩ ق.م) آخر الملوك الكلدانيين ، هو الذى قضى على دولة الإدوميين فى حملته التى قام بها سنة ٥٥٢ ق.م مستهدفاً جنوبى الأردن وشمالى الجزيرة العربية ، وقد جاء فيما دونه عن هذه الحملة "ضد المدينة أدومو نصبت المعسكرات" ويبدو من سياق النص أنه قضى على عاصمتهم بوصيرة "بصرة" فى المنطقة الواقعة شرقى الأردن وعلى تل الخليفة ، وضرب تجارتهم التى كانت تمتد جنوباً حتى ديدان وشرقاً حتى تيماء التى تقع على بعد ١٠٤ كلم شمالى مدينة العلا فى شمال غرب شبه الجزيرة العربية وقضى فيها عشر سنوات(٤٠).

تجدر الإشارة إلى أن الدوافع الاقتصادية كانت من أهم الأسباب التى دفعت نبونيد إلى أن يتوجه تجاه تيماء على رأس حملة ليحتلها ويقيم بها عشر سنوات ، وكان العرب آنذاك يحكمون سيطرتهم التامة على مسارات الطرق التجارية ، ويسيرونها حسبما يخدم توجهاتهم السياسية ويحقق أغراضهم الاقتصادية ، وقد ذكر نبونيد فى نصه ، المدن العربية التى أخضعها لسيطرته وهى(تيماء ، ديدان ، فدك ، خيبر ، يديع ، يثرب) ، وكانت تلك المدن آنذاك مراكز ومحطات تجارية هامة تقع على طريق البخور الذى كان يخترق شبه الجزيرة العربية من أقصى جنوبها إلى شمالها حتى سواحل البحر المتوسط ، ويفسر إخضاع نبونيد لتلك المدن أنه كان يسعى إلى إحكام سيطرته على تجارة تلك المنطقة التى تصل إليها من جنوب شبه الجزيرة العربية ، ولو كان هدف نبونيد غير ذلك لما احتاج إلى غزو تلك المدن التجارية فى شمال غرب الجزيرة العربية وإحكام سيطرته عليها ، بل لاكتفى باحتلال تيماء وتحصين نفسه بها(٤١).

عثر على فخار نبطى فى مملكة أدوم ، ولكن هذا لايعنى أن الأدوميين قد اندثروا بعد انتصار الأنباط عليهم ، فإن الشعوب لا تندثر والتفسير الواقعى أن الشعب عاش فى ظل السلطة النبطية (أى اندمج بشعب الأنباط) ويتضح ذلك من الإشارة إلى حالات المصاهرة التى جرت بين الأدوميين والأنباط(٤٢) .

يرى بعض الباحثين أن جنوب بلاد النهرين هى الموطن الأصلى للأنباط ، وأن "نبوخذ نصر" فى القرن السادس قبل الميلاد قد جاء بهم من هناك عند تحريره لفلسطين وأنزلهم البتراء واستقروا بها ، ولكن هذا الرأى فى الغالب غير صحيح كون منطقة بلاد النهرين زراعية تتوفر فيها المصادر المائية ، ومن غير الممكن أن يعيش الأنباط حياة مستقرة ومن ثم يتحولوا إلى حياة البداوة(٤٣).

اعتقد البعض أن الأنباط قدموا من المنطقة الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية من منطقة الخليج العربى ، مستشهدين بظهور الآلهة "صعب" و "اللات" فى النقوش النبطية ، وقد رأى أخرون وهو رأى قديم نسبياً أن الأنباط قبيلة عربية من جنوب شبه الجزيرة العربية ، بدأت بالظهور فى القرن الخامس قبل الميلاد نتيجة الإنهيار الأول لسد مأرب ، مما جعل الأنباط مهيئين لحل مشاكل تخزين المياه فى المناطق الشبه جافة ، ومن ثم وجدوا من السهل عليهم السكن فى منطقة النقب والمناطق الجنوبية الغربية من البحر الميت ، وخلال فترة القرن الرابع قبل الميلاد نقلوا كميات كبيرة من العطور من شبه الجزيرة العربية ، وأرسلوا القار الذى كانوا يجمعونه من البحر الميت إلى مصر، وعندما اتجهوا إلى الشرق باتجاه الأراضى الإدومية وجدوا المأوى فى الصخرة "البتراء" التى ربما أقاموا عاصمتهم بها فيما بعد ، أو كان مأواهم فى إحد ى القلاع الطبيعية على أحد الشواطئ الجنوبية للبحر الميت أو جنوب النقب(٤٤).

الخاتمة :

اتضح من خلال البحث أن ارتباط الآدوميين بالأنباط من خلال تواجدهم فى منطقة واحدة ، ولذا يمكن القول بأن الآدوميين هم أسلاف الأنباط ، وربما يرجع تحول ذكرهم إلى اسم أنباط ، للمصادر الآشورية التى أشارت إلى هؤلاء الأدوميين بلفظ "نباطو" طبقاً لما ورد بنصوص ملوكها وخاصة بالعصر السرجونى .

الهوامش:

(١) الأدوميون، شعب من نسل عيسو (الابن البكر لاسحاق عليه السلام) كان يسكن بلاد أدوم الواقعة جنوب

شرق الأردن الحالية ، والتى كانت تضم سلسلة المدن الممتدة شرق وادى عربة ، وكانت بلاد أدوم تسمى

فى عهد الحوريين الذين سبقوهم فى سكناها باسم "سعير" وقد أسس الأدوميين بعد أن طردوا الحوريين عدة مدن هامة أشهرها "سلع" و"أيلة " .

نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، دمشق ١٩٨٣، ط ٣، ص ١٠٩.

(٢) المؤابيين، هم عشائر سامية سكنت في بداية القرن الرابع عشر في شرق الأردن، ثم سكنوا بعد ذلك أورشليم.

Glueck.N ., "The Civilization of the Edomites" ,The Biblical Archaeologist ,

Vol .١٠ ,No .٤ , A S O R ,١٩٤٧, p.٧٧.

(٣) العمونيون، سكن العمونيون الأردن سنة ١٢٥٠م ، حيث عاشوا حياة البداوة، وكونوا دولة قوية امتدت حدودها من الموجب جنوبًا إلى سيل الزرقاء شمالاً، ومن الصحراء شرقًا إلى نهر الأردن غربًا، وكانت عمان عاصمة مملكتهم، وبحكم موقع عمان الجغرافي الإستراتيجي طمع فيها الغزاة، فتعرضت مملكة العمونيين للغزو والدمار لكنها كانت تضمد جروحها وتعيد بناء مدنها.

جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، تقديم ودراسة وتعليق محمود النجيدي، مكتبة النافذة، الجيزة ٢٠٠٩، ص ٤٩.

(٤) الأموريين، شعب سامي عاش في إقليم سوريا هاجروا من شبه الجزيرة العربية مع الكنعانيين، فاستولوا على بابل وأجزاء من سوريا وفلسطين، وكان ملوك الأسرة الأولى التي حكمت بابل من القرن ١٩ إلى القرن ١٦ ق.م ، من الأموريين ومن بينهم حمورابي أشهر ملوكها.

حلمي محروس إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته(بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة) ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٧، ص ١٣٩ .

(٥) Glueck, N., Op. Cit., p. ٧٧.

(٦) سعد الطويسى ومحمد النصرات ، الظروف التاريخية والأدلة الأثرية لفترة دخول الأنباط إلى جنوبى الأردن ٥٣٩ ق.م. ١٠٦ م ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، مج ٤ ، ع ٢ ، ٢٠١٠ م ، ص ٩٩. ١٠٠ ؛

زياد السلامين ، العلاقات النبطية الخارجية الخارجية ، الجمعية التاريخية السعودية ، الاصدار التاسع ، الرياض ٢٠١٣ ، ص ٤٦ .

(٧) Glueck, N., Op. Cit, p.٧٨.

(٨) Glueck, N., Op. Cit, p. ٨٠.

(٩) سعد الطويسى و محمد النصرات ، الظروف التاريخية والأدلة الأثرية ، ص ١٠١ ؛

Starcky, J., ‘‘The Nabataeans a Historical sketch’’, BA, Vol. XVIII, N. ٤, December, ١٩٥٥, p.٨٦.

(١٠) خالد الحمودى ، مملكة الأنباط "دراسة فى الأحوال الإجتماعية والإقتصادية"، عمان ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٠

؛ سعد الطويسى و محمد النصرات ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(١١) عبد العزيز صالح ، شبه الجزيرة العربية فى المصادر المصرية القديمة ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٥ ، ع ١ ، ١٩٨٤ ، ص ٣٠٣ .

(١٢) زياد السلامين ، العلاقات النبطية الخارجية الخارجية ، ص ٤٦ .

(١٣) Justin, K., Toward anew Synthesis of the God of Edom and Yahweh, BDUCA, Vol. ٧, ٢٠٠٩, pp. ٢٥٦-٢٥٧.

(١٤) Glueck, N., Op. Cit., p. ٧٧;

عبد العزيز صالح ، شبه الجزيرة العربية فى المصادر المصرية القديمة ، ص ٣٠٣ .

(١٥) زياد السلامين ، المرجع السابق ، ص ٤٦ ؛ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤

(١٦) Carmichael. J., The Shaping of the Arabs, London, ١٩٦٩, p. ٨;

محمد بيومى مهران ، تاريخ العراق القديم ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص ٣٧٤ .

(١٧) Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. I, The University of Chicago press, ١٩٢٦, p. ٢٢٣.

(١٨) عبد المعطى بن محمد عبد المعطى سمسم ، العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ أقدم العصور وحتى القرن السادس ق.م ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٤٦ – ٣٤٩ .

(١٩) Luckenbill, D., Op. Cit., p. ٢٧٦.

(٢٠) Ibid., p. ٢٩٣;

زياد السلامين ، العلاقات النبطية الخارجية الخارجية ، ص ٥٦ ؛

Justin, K., toward anew Synthesis of the God of Edom and Yahweh, p. ٢٥٦.

(٢١) جرجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ج ١ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٢٢) Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. II, The University of Chicago press, ١٩٢٧, p.٢٠٨.

(٢٣) يوسف محمد عبد الله ، أوراق فى تاريخ اليمن وآثاره ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٢٢١ .

(٢٤) زياد السلامين ، المرجع السابق ، ص ٥٦ ؛

Luckenbill, D., Op. Cit., p. ٣١٤.

(٢٥) MacDonald, B., East of the Jordan, ASOR, Boston, ٢٠٠٠, p. ١٨٧;
Justin, K., Toward anew Synthesis of the God of Edom and Yahweh, P. ٢٥٦;

زياد السلامين ، العلاقات النبطية الخارجية الخارجية ، ص ٤٧ .

(٢٦) زياد السلامين ، المرجع السابق ، ص ٥٠ – ٥٢ .

(٢٧) Al–Theeb, S.A., Aramaic and Nabataean Inscriptions from North West Saudi Arabia, Riyadh, ١٩٩٣, p. ٧٢.

(٢٨) بسام أحمد محمد غرايبة ، المعبودات النبطية من خلال نقوشهم ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٨ ، ص ١٢ .

(٢٩) بيستون وآخرون ، المعجم السبئى ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩١ .

(٣٠) Luckenbill, D., Op. Cit., Vol. I, p. ٢٨٣.

(٣١) Luckenbill, D., Op. Cit., Vol. II, p. ١٣٢.

(٣٢) Luckenbill, D., Ibid, p. ٣١٥;

Broome, E. C., Nabaiati, Nebaioth and the Nabataeans, JSS, Vol. ١٨, No. ١, ١٩٧٣,p.١.

(٣٣) سليمان عبد الرحمن الذييب ، التاريخ السياسى للأنباط ، الهيئة العامة للسياحة والآثار ، سلسلة كتاب الآثار ، الرياض ٢٠١١ ، ص ٧ .

(٣٤) Bowersock,G.W., Areport on Arabia Provincia, JRS, Vol. ٦١, ١٩٧١, P. ٢٢١;Broome,E.C.,Op.Cit.,p.٢.

(٣٥) عبد الله الحلو ، صراع الممالك فى التاريخ السورى القديم ، بيروت ١٩٩٩ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٣٦) سعد الطويسى و محمد النصرات ، الظروف التاريخية والأدلة الأثرية ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٣٧) Maccarter, P. K., Obadiah ٧ and the fall of Edom, BASOR, No. ٢٢١, ١٩٧٦, p. ٨٩.

(٣٨) Glueck, N., The Civilization of the Edomites, p. ٧٩.

(٣٩) محمد إسماعيل عطية النصرات ، تاريخ الأنباط السياسى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢ ، ص ٢ ؛ سماح اسامه بركات ، حروب الأنباط واليهود ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢ ، ص ٧ .

(٤٠) إحسان عباس ، تاريخ دولة الأنباط ،، عمان – الأردن ١٩٨٧ ، ص ٢٠ ؛ محمد بيومى مهران ، تاريخ العراق القديم ، ص ٤٥٣ ؛

O'leary,D., Arabia before Muhammad, London , ١٩٢٧, p. ٥٣;

Hitti, Ph., History of the Arabs, ٦ th. ed., London, ١٩٥٨, p. ٣٩.

(٤١) سعيد بن فايز إبراهيم السعيد ، حملة الملك البابلى نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية ، الجمعية التاريخية السعودية ، الإصدار الثامن ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ٢٠٠٠ ، ص ١٥ – ١٦ ؛ لطفى عبد الوهاب يحي ، العرب فى العصور القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٤١٧ .

(٤٢) هتون أجواد الفاسى ، الحياة الإجتماعية فى شمال غرب الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٩٣ ، ص ٥٤ .

(٤٣) مروان عاطف الضلاعين ، مروان عاطف الضلاعين ، الانتاج الصناعى فى مملكة الأنباط ، جريدة التمدن،

ع ٤ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٦ .

(٤٤) سماح اسامه بركات ، حروب الأنباط واليهود ، ص ٦ ؛ مروان عاطف الضلاعين ، الانتاج الصناعى فى مملكة الأنباط ، ص ١٩٦ . ١٩٧ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمترجمة إلى العربية:-

- إحسان عباس ، تاريخ دولة الأنباط ،، عمان – الأردن ١٩٨٧.
- بسام أحمد محمد غرايبة ، المعبودات النبطية من خلال نقوشهم ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ،١٩٨٨ .
- بيستون وآخرون ، المعجم السبئى ، بيروت ١٩٨٢
- جرجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ج ١ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٢٢ .
- جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، تقديم ودراسة وتعليق محمود النجيدي، مكتبة النافذة، الجيزة ٢٠٠٩ .
- حلمي محروس إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته(بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة) ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٧، ص ١٣٩ .
- خالد الحمودى ، مملكة الأنباط "دراسة فى الأحوال الإجتماعية والإقتصادية"، عمان ، ٢٠٠٢
- زياد السلامين ، العلاقات النبطية الخارجية الخارجية ، الجمعية التاريخية السعودية ، الاصدار التاسع ، الرياض ٢٠١٣.
- سعد الطويسى ومحمد النصرات ، الظروف التاريخية والأدلة الأثرية لفترة دخول الأنباط إلى جنوبى الأردن ٥٣٩ ق.م ـ ١٠٦ م ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، مج ٤ ، ع ٢ ، ٢٠١٠ م.

- سعيد بن فايز إبراهيم السعيد ، حملة الملك البابلى نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية ، الجمعية التاريخية السعودية ، الإصدار الثامن ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ٢٠٠٠.
- سليمان عبد الرحمن الذييب ، التاريخ السياسى للأنباط ، الهيئة العامة للسياحة والآثار ، سلسلة كتاب الآثار ، الرياض ٢٠١١.
- سماح اسامه بركات ، حروب الأنباط واليهود ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢.
- عبد العزيز صالح ، شبه الجزيرة العربية فى المصادر المصرية القديمة ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٥ ، ع ١ ، ١٩٨٤.
- عبد الله الحلو ، صراع الممالك فى التاريخ السورى القديم ، بيروت ١٩٩٩.
- عبد المعطى بن محمد عبد المعطى سمسم ، العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ أقدم العصور وحتى القرن السادس ق.م ، القاهرة ، ٢٠٠٨.
- لطفى عبد الوهاب يحي ، العرب فى العصور القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨.
- محمد إسماعيل عطية النصرات ، تاريخ الأنباط السياسى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢.
- محمد بيومى مهران ، تاريخ العراق القديم ، الإسكندرية ، ١٩٩٠.
- نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، ط ٣ ، دمشق ١٩٨٣.
- هتون أجواد الفاسى ، الحياة الإجتماعية فى شمال غرب الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٩٣.
- يوسف محمد عبد الله ، أوراق فى تاريخ اليمن وآثاره ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩٠.

ثانياً : المراجع الأجنبية:-

- Al-Theeb, S.A., Aramaic and Nabataean Inscriptions from North West Saudi Arabia, Riyadh, ١٩٩٣.
- Bowersock,G.W., Areport on Arabia Provincia, JRS, Vol. ٦١, ١٩٧١.
- Broome, E. C., Nabaiati, Nebaioth and the Nabataeans, JSS, Vol. ١٨, No. ١, ١٩٧٣,p.١.
- Carmichael. J., The Shaping of the Arabs, London, ١٩٦٩.
- Glueck.N., "The Civilization of the Edomites" ,The Biblical Archaeologist , Vol .١٠ ,No .٤ , A S O R ,١٩٤٧, p.٧٧.
- Hitti, Ph., History of the Arabs, ٦ th. ed., London, ١٩٥٨.
- Justin, K., toward anew Synthesis of the God of Edom and Yahweh, BDUCA, Vol. ٧, ٢٠٠٩.
- Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. I, The University of Chicago press, ١٩٢٦.

- Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. II, The University of Chicago press, ١٩٢٧.
- Maccarter, P. K., Obadiah ٧ and the fall of Edom, BASOR, No. ٢٢١, ١٩٧٦.
- MacDonald, B., East of the Jordan, ASOR, Boston, ٢٠٠٠.
- O'leary,D., Arabia before Muhammad, London , ١٩٢٧.
- Starcky, J., ''The Nabataeans a Historical sketch'', BA, Vol. XVIII, N. ٤, December, ١٩٥٥.